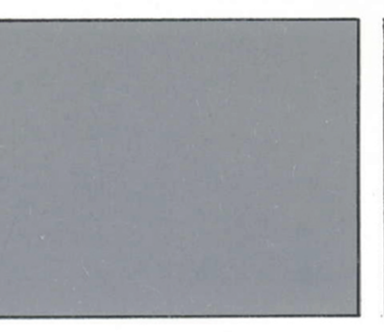




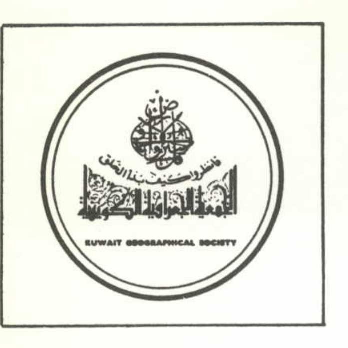

نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

توطين البدو في المملكة العربية السعودية "الهجر"

بقلم الدكتور احمد عبدالرحمن الشامخ
ترجمة الدكتور عبدالاله ابو عياش

آذار - مارس ١٩٨١
ربيع الآخر ١٤٠١

٣





نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

توطين البدو
في المملكة العربية السعودية
"الهجر"

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحمن الشامخ
ترجمة الدكتور عبد الإله أبو عياش

٣

آذار - مارس ١٩٨١
ربيع الآخر ١٤٠١

المراسلات

قسم الجغرافية ــ كلية الاداب ــ جامعة الكويت

الجمعية الجغرافية الكويتية ــ ص ب ١٧٠٥١ ــ الخالدية ــ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

مشاريع توطين البدو وانتقالهم من الهجر (مستوطنات البادية) الى الحلات (المستوطنات الحضرية) هي المحور الرئيسي لهذه الدراسة التي قام بها الدكتور احمد الشامخ ، والتي نشرت بمجلة (Ekistics) الصادرة عن مركز اثينا التكنولوجي . وتلقي الدراسة الضوء على بداية مشاريع التوطين التي قام بها الملك عبد العزيز بن سعود في اوائل هذا القرن لتغيير نمط حياة الجماعات البدوية من الارتحال والتنقل الى حياة الاستقرار . فترسيخ الكيان السياسي الذي انشأه ابن سعود كان يتطلب خلق مجتمعات مستقرة بعيدة عن حياة البداوة ، وعن الولاءات القبلية المتذبذبة . فحتى عام ١٩٣٠ ، كان عدد المستوطنات البدوية التي تم انشاؤها حوالي ٢٠٠ مستوطنة. وقد استمرت المحاولات الحكومية لتوطين البدو في السنوات اللاحقة . وفي عام ١٩٥٨ ، بدأت الدولة بتنفيذ الخطة الثانية للتوطين . ولم تقتصر هذه المشاريع على منطقة دون اخرى ، وانما امتدت من شمالي البلاد الى جنوبها . فكان هناك مشروع وادي السرحان على الحدود الاردنية لتوطين قبائل عنزة والشرارات ، ومشروع الملك فيصل على طول وادي السهباء . ويهدف المشروع الى استصلاح اربعة الاف هكتار ، وتوطين حوالي الف عائلة بدوية . وهناك مشروع آخر في واحة يبرين على اطراف الربع الخالي . ويهدف هذا المشروع الى استصلاح حوالي خمسة الاف هكتار .

وبالاضافة الى الهجر ، هناك المستوطنات البدوية في المناطق الريفية .وهي عبارة عن مستوطنات اقامتها الجماعات البدوية من تلقاء ذاتها ، وبدون اية مساعدة خارجية . ويشكل هذا نوعا ثانيا من المستوطنات البدوية على اطراف المناطق الحضرية ، وهي ما يطلق عليها اسم « الحلات» .

من خلال هذه المقدمة العامة عن المستوطنات البدوية والمشاريع المرتبطة بها ، يقودنا الباحث الى تحديد موضوع الدراسة (Case Study)

في منطقة القصيم · ويطرح الباحث مجموعة من التبريرات التي يستند عليها في اختياره لهذه المنطقة · فهي تضم جميع انواع المستوطنات البدوية التي لابد وأن تدخل في أية دراسة عن توطين البدو · كما ان المنطقة واسعة وتشكل وحدة وظيفية مترابطة مع بعضها بعضا · وتتركز معظم المستوطنات البدوية في هذه المنطقة على طول وادي الرمة ·

ومن اجل تقييم فرص وامكانات التوطين في المنطقة ، فقد درس الباحث انماط التصريف المائي ، ومصادر المياه ، والاوضاع الزراعية في المنطقة لكونها الاسس التي يمكن ان يستند عليها نجاح مثل هذه المشروعات الاستيطانية · ويوجد في القصيم حوالي ٣٧ هجرة قديمة بالاضافة الى ٢٤ هجرة حديثة · ويعتمد جزء كبير من سكان الهجر على الزراعة التي تستقطب حوالي ٣٨ ٪ من جميع العاملين في الانشطة الاقتصادية المختلفة · ورغم استقرارهم ، فانهم ما زالوا يمارسون حرفة الارتحال الموسمي كما يشتغل عدد منهم في التجارة ·

ورغم أن انشاء الهجر كان اساسا لجذب الجماعات البدوية المتنقلة الى نويات استيطانية يرتبطون بها حياة ووظيفة ، الا أن التغير الاقتصادي ، والتخلخل الاقليمي الذي صاحب ظهور النفط ، ادى الى تحول قوى الجذب عن هذه المستوطنات الى مراكز حضرية ذات فرص واسعة كما هو الحال في الكويت والرياض والدمام والمدينة ومكة وجدة وغيرها · وكانت النتيجة أن اخذ سكان الهجر في الاتجاه نحو المدن والمراكز الحضرية الكبيرة حيث تتوفر ظروف أفضل من العمل ، ومستويات أعلى من المعيشة ، ودخول أفضل مما عهدوه في هجرهم · ودلت البيانات الناجمة عن الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث ، انه حتى عام ١٩٧٢ ، كان حوالي ٣٦ ٪ من سكان الهجر قد تركوا مستوطناتهم باتجاه المراكز الحضرية ·

هذا استعراض لاهم جوانب هذه الدراسة الميدانية · ويبقى المزيد من التفاصيل التي يمكن استشفافها من خلال تتبع القضايا المختلفة التي عالجتها · ان مشكلات توطين البدو هي من الموضوعات التي لم تعط الاهتمام الكافي

والتحليل العميق من قبل الاكاديميين والباحثين في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية ٠ ان مثل هذه الدراسات تكتسب أهمية خاصة في بلد كالمملكة العربية السعودية ، فالمملكة اليوم بحاجة ماسة الى مزيد من الايدي العاملة لتنفيذ خططها التنموية الطموحة ٠ وهي لهذا تستقطب الالاف من العمال من خارج حدودها ، وذلك لافتقارها الى الايدي الفنية والمدربة ٠ ومن خلال البحث عن أيدي محلية للمشاركة في برامجها التطويرية ، فقد اتجهت انظار المسئولين الى مستودعات العمالة في مناطق البدو الرحل ٠ نهذه الايدي يمكن الاستفادة منها عن طريق توطينها ودمجها بالحياة المستقرة اولا ، ثم العمل على تدريبها ورفع كفاءتها الانتاجية ثانيا ٠ وقد كان هذا هو الدافع الاقوى في المحاولات التي تبذلها الدولة لتنمية المستوطنات البدوية ، وتكثيف الطاقات البشرية المبعثرة وراء حرف قليلة العائد الى مهن وفيرة العطاء ٠

من هذا المنطلق اذن تبرز أهمية هذه الدراسة الميدانية في اعطاء صورة متكاملة عن حياة الهجر قديمها وحديثها ، وعن التحولات التي تمر بها المجتمعات البدوية في مرحلة الانتقال من حياة التنقل والترحل الى حياة الاستقرار والاستيطان ٠

ان تكوين مثل هذه الصورة ضرورة ملحة لرسم الطريق الامثل للكيفية التي يمكن بواسطتها امتصاص هذه الموارد البشرية في المشروعات الانتاجية والبرامج التنموية في المملكة العربية السعودية ٠

الدكتور عبد الاله ابو عياش

ـ فبراير ١٩٧٩ ـ

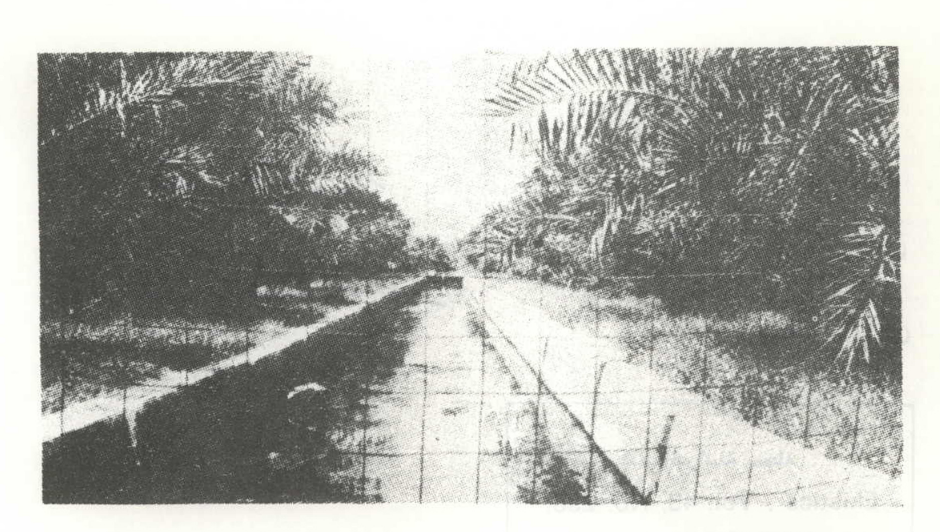
توطين البدو في المملكة العربية السعودية "الهجر"

بقلم الدكتور احمد عبدالرحمن الشامخ
ترجمة الدكتور عبدالاله ابوعياش

نشرت هذه الدراسة بمجلة :
Ekistics , Vol. 43, No. 258;
may 1977; PP. 249 - 259 .
الصادرة عن مركز أثينا التكنولوجي

الرعي اقتصاد قديم للانسان ويمارس في اجزاء كثيرة جافة من العالم · وهو نظام اقتصادي قائم على التنقل · ويعتقد بان الرعي هو الطريقة الوحيدة المناسبة لاستغلال النبات الطبيعي المتناثر في المساحات الصحراوية الواسعة ومناطق الاستبس من هذا العالم · ان ماشية البدو في المملكة العربية السعودية خليط متنوع من الجمال والاغنام والماعز · وتتطلب ندرة العلف والماء هجرة دورية للبدو مع قطعانهم عندما تستنفد المراعي في منطقة معينة (في العادة كل عشرة ايام تقريبا في المملكة العربية السعودية) ·

ان هذه الهجرات الرعوية تتفق مع دورة الفصول · ففي الاجزاء الوسطى من المملكة العربية السعودية ، تبتدىء الهجرات في اوائل اكتوبر عندما يبتدىء « الموسم » أو الفصل المطر · فمخيمات الصيف الكبيرة حول الابار الدائمة تتجزأ مباشرة الى جماعات رعي صغيرة وتتجه نحو الصحراء · ويبقى البدو في الصحراء حتى نهاية مايو عندما تجف برك الماء وتستهلك المراعي بدرجة كبيرة · وبعدها يبدأون رحلتهم في العودة الى آبارهم الدائمة ·



والوحدات الرعوية صغيرة مكونة من خمس او ست خيام وهي من نفس العشيرة وهذه الوحدات كبيرة بما فيه الكفاية للتعاون في العملية وصغيرة بما فيه الكفاية لتتحاشى الازدحام على المراعي والآبار · ويغيرون مواضع مخيماتهم كل عشرة ايام بعد أن تعطى اعتبارات دقيقة لظروف المراعي والمياه امامهم · ويعتمدون على تقارير مستطلعيهم وتقارير غيرهم من البدو والمسافرين ، وعلى خبرتهم الطويلة ومعرفتهم الواسعة عن تواجد المناطق التي تبشر بالمراعي والماء · وحديثا مع انتشار استعمال المذياع بين البدو فانهم يستفيدون من تقارير الاذاعة عن التساقط ·

الارتحال التقليدي

كان التنقل في اجزاء واسعة من الجزيرة العربية طريقة المعيشة السائدة لآلاف السنين · وهذا من الناحية التاريخية انعكاس للبيئة الجافة التي تجعل الحياة المستقرة الدائمة على نطاق واسع غير ممكنة باستثناء الواحات المتناثرة أو المناطق الرطبة في اليمن وعسير وعمان · وما زالت المملكة العربية السعودية فيها نسبة كبيرة من السكان الرحل وتحتل مرتبة عالية بين الاقطار ذات السكان الرحل في العالم من حيث اعداد البدو ونسبة البدو لمجموع السكان · ففي عام ١٩٦٥ قدرت الحكومة أن ما يزيد عن خمسين بالمائة من سكان الدولة كانوا من البدو الرحل وشبه الرحل ·

ولان التقديرات الحكومية لعدد السكان في تلك الفترة تقدر بحوالي سبعة ملايين نسمة كانوا من البدو الرحل ۰ (١) ويقدر أحد الباحثين على هذا الاساس أن الثلاثين بالمائة من سكان المملكة العربية السعودية في عام ١٩٦٥ كانوا من الرحل ۰ (٢)

وقامت المملكة العربية السعودية بالتعداد الاول للسكان في عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ حيث بلغ عدد السكان ٣٫٢٩٧٫٦٥٧ ، وكان منهم ٢٫٦١١٫٤٥٩ (٧٩٫٢ ٪) قد سجلوا كمستقرين و ٦٨٦٫١٩٨ (٢٠٫٨ ٪) صنفوا كرحل ۰

ولا بد من التركيز هنا على أن تعداد عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ لم يقبل من الحكومة ولم ينشر ۰ فقد اعتبرت الدولة أن مجموع السكان الذي قدر بحوالي ٣٫٣ مليون نسمة عددا منخفضا ۰

وفي غياب بيانات تعدادية كاملة ومعتمد عليها لسكان المملكة العربية السعودية ، فانه لا بد من توضيح في هذا الشأن ۰ فتقديرا تالامم المتحدة لسكان المملكة العربية السعودية (حوالي ٥٫٠٧٧٤٫٠٠٠ لعام ١٩٧٠) تبدو معقولة (٣) وبتوقع عدد السكان لعام ١٩٧٢ حسب هذا التقدير يصبح حوالي ٥٫٥ مليون نسمة وكنتيجة للدراسة الميدانية التي قام بها المؤلف في عام ١٩٧٢ ، فإنّه يعتقد بان عدد السكان الرحل وشبه الرحل حوالي ٢٥ بالمائة من مجموع السكان ۰ وهذا يعني بالتالي أن عدد البدو الرحل في عام ١٩٧٢ حوالي ١٫٣٧٥٫٠٠٠ ۰

تطور المجتمع البدوي

تعتبر معظم مشروعات تصنيف الرحل الخلص بانهم مربو الجمل وشبه المترحلين بانهم مربو الاغنام ، لكن هذه التصنيفات تفشل في الوقت الحاضر في واقع المملكة العربية السعودية لان الاغنام مهمة كالجمال حتى بالنسبة للمترحلين الدائمين ۰ ان انخفاض الطلب على الجمال للنقل وتزايد الطلب على لحم الاغنام قللت من القيمة الاقتصادية للجمل والعامل الاخر الذي ساهم في تحول البدو من التركيز على الجمل الى الاغنام هو توفر المياه للبدو من آبار صحراوية ثم تطويرها حديثا ۰ ان اقصى امتداد للديرة (منطقة الرعي

الشتوي) لكل قبيلة مرن وغالبا ما تتداخل · ويتكون قلب الديرة من مناطق محددة بشكل جيد وغير متنازع عليها وتحتوي على آبار صحراوية مع مراعي صيفية تحيط بها · وفي المملكة العربية السعودية ، فقد اتخذ اجراء مهم لتشجيع الاستقرار وهو الغاء نظام (الحمى) في عام ١٩٥٣ الذي كانت بموجبه القبائل تمتلك حقوق الملكية التقليدية والمتعارف عليها لرعي الارض ومتضمنة الحق في استبعاد بقية القبائل · لهذا فقد تغير مفهوم الديرة بشكل جذري منذ قيام الحكومة المركزية · وفي الوقت الحاضر فان القبائل المتخاصمة سابقا تعبر مناطق بعضها بعضا دون حدوث اية نزاعات ·

ويمكن تلخيص التغيرات الرئيسية في المجتمع البدوي التقليدي كالتالي :

- قيام حكومة مركزية قوية ادى الى منع الحروب والمنازعات بين القبائل ، كما منع الغزو أو مهاجمة القبائل لبعضها البعض أو المجتمعات المستقرة ووضع البدو الرحل تحت قوانين الدولة ·

- ادخال التكنولوجيا وما نتج عنها من تحويل المجتمع الى شكل مندمج ومتناسق · وقد ادى هذا الى اضعاف الشكل القبلي للمجتمع البدوي ·

توطين البدو

يجاهد البدو الرحل لتحسين حياتهم ورفاهيتهم في عالم سريع التغير · فاذا اقتنعوا بان الشاحنة يمكن أن تخدمهم بشكل افضل من الجمل ، فانهم يتحولون من ركوب الجمال الى قيادة الشاحنات ·

ان الحافز لتحسين اوضاعهم الذاتية ادى الى استقرار الاف البدو في مهن اكثر أمنا والى تعليم اطفالهم · وقد أصبح الكثيرون من البدو السابقين حرفيين مهرة وموظفين اكفاء في الدولة وفي الشركات الخاصة · ومع ذلك ، فان البدوي يواجه صعوبات كبيرة بعد قراره بالاستقرار · فهو غالبا ما يواجه بطالة شديدة لانه يعتبر حرفا معينة احتقارا له · على سبيل المثال الحدادة ، النجارة ، التقصيب ، الحلاقة ، الخياطة ، والاعمال

الصحيـة • كذلـك ، فـان رجـال الاعمال يترددون، بتشغيل البدو لانهم غـير مهـرة ، ويشكون بهم كاشخاص لا يعتمد عليهم ، كسـالى ، ولا يناسبون معظم الوظـائف •

تاريخ استيطان الرحل

تـم توحيد شبه الجزيرة العربية لاول مرة في القرن السابع الميلادي تحت لـواء الاسلام • وقد شكل الاسلام اول تحدي للبداوة لانه ادى الى قيام سلطة مركزية ، ولان القوانين والتشريعات بدلت ، وعدلت القوانين والتقاليـد القبليـة الهشـة • بالاضافة الى ذلك فان ممارسة الاسلام فضلت تطوير حياة مستقرة متجمعة • فصلاة الجمعة تتطلب على الاقل اربعين راشدا من الذكور ، وهذا النوع من الممارسة اكثر ما يلائم حيـاة الجماعـة المستقرة • كذلـك فان القوانين الاسلامية المتعلقة بالملكية والارث والتجارة يمكن تطبيقها بشكل افضل عـلى الجماعات المستقرة • وعندما سأل كاتب هذه المقالة بعض البدو المستقرين عـن دور الديـن فـي قرارهم للاستقرار اجابـوا بان الدين حضري ، اي ان الديـن هـو ديـن استقرار • ولقد كان التغير بطيئا حتى القرن العشرين لان المملكـة العربية السعودية كانت تفتقر الى حكومة مركزية قوية ولان الحروب الداخليـة كانـت منتشرة •

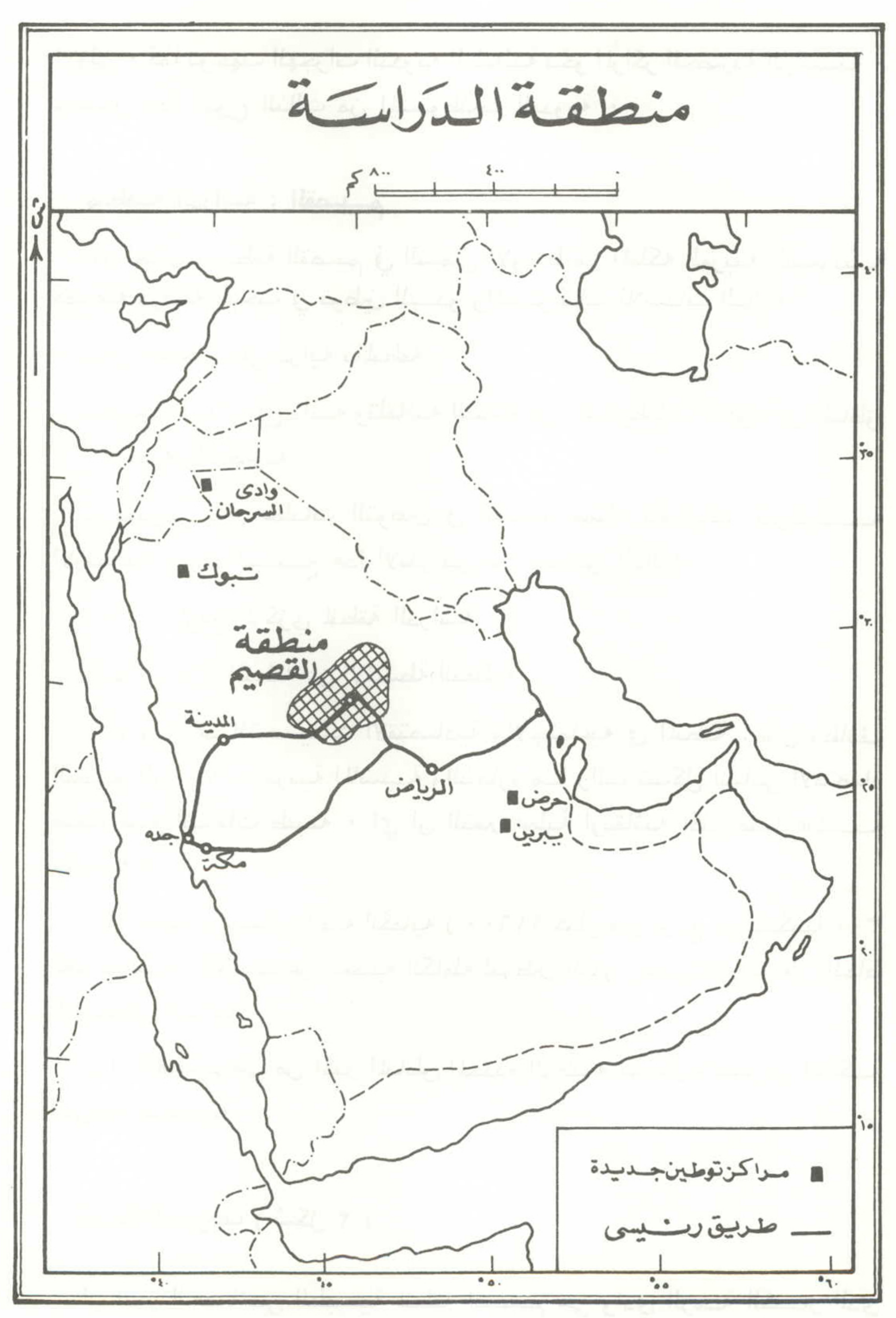
وفي وقت مبكر من القرن العشرين عندما كان الملك عبد العزيز آل سعود يرسخ قوته في المملكة العربية السعودية ، أدرك انه لا يمكن بناء هيكل سياسي دائـم على البداوة والولاءات القبلية غـير المؤكدة • وقد بدأ الملك عبد العزيز آل سعود برنامجا لتوطين البـدو الرحـل في عام ١٩١٢ ، وحتى عام ١٩٣٠ كان هنـاك ما يزيد عن ٢٠٠ مستوطنة بدوية (هجر) • وقد مثلت هذه المستوطنات المحاولة الرسمية الاولى من قبـل الحكومة لتوطين البـدو • ونفذت الخطـة الحكـومية الثانية لتوطين البدو في عام ١٩٥٨ عندما بدأت الحكومة مشروع وادي السرحان قرب الحدود الاردنية (شكل ١) • وقد تم تنفيذ المشروع بشكل سريع كاجراء انمائي للبـدو الرحـل (عنزة والشرارات) الذين فقدوا بعد ست سنوات متتالية من الجفاف ٩٠ بالمائة من ماشيتهم •

وقد قدمت الحكومة اليهم العـــون ٠ وقد أبدى الكثيرون مــن هؤلاء البدو الرحل الرغبة في الاستيطان ، وزودتهــم الحكومـــة بمضخات المياه والبذور وساعدتهم في حفــر الآبــار ٠

ويجب ملاحظة ان احدث مشروع استيطاني وجهت له الحكومة جهودا كبيرة هو مشروع الملك فيصل الاستيطاني ٠ ويقع هذا المشروع الشرقي بالقرب مــن حرض ويمتد باتجاه شمالي جنوبي على طول وادي السهباء (شكل ١) ٠ ويمتد المشروع بطول ٤٠ كيلو مترا وبعرض كيلو متر واحد ٠ والاهداف الرئيسيــة للمشروع هي استصلاح ٤٠ الف دونــم (٤٠٠٠ هكتار) من الارض الصحراوية لتوطين ما لا يقــل عن الــف عائلة بدوية على اساس دائم ، وتدريب خبراء زراعيين سعوديين ، وتقديم الخدمات للعمال ، وانشاء مزرعة نموذجية للتجارب وتدريب البــدو المستقريــن ٠

ان الهدف الرئيسي لمشروع حرض استصلاح الارض وتوزيعها بين البدو المستقرين وحتى يصبح المشروع ناجحا اقتصاديا لا بد أن يصبح المستقرون متمكنين في جميع نواحي الزراعة ٠ وقد تحول التركيز من المحاصيل الحقلية الــى الاعلاف وتربية الاغنام التي تعتبر اكثر اغراء للبدو ٠ ويوجد في الوقت الحاضر في المشروع حوالي ٢٤ الف رأس غنم ستزداد في عام ١٩٨٠ الى ٢٠٠ الــف رأس ٠ واذا أثبت مشروع حرض التوطيني نجاحه ، فان الحكومة ستخطط لمشروع اكبر في يبرين ، على حافة الربع الخالي (شكل ١) ٠ وتقع هـــذه الواحة على بعد مائة كيلومتر الى الجنوب من حرض ٠ ويذكر انه يوجد في المنطقة كميات كافية من المياه الجوفية لاستصلاح ٥٠ الف دونم (خمسة الاف هكتار) ، وفيما عدا مشروع الهجر ومشروعات الحكومـــة التوطينية الحديثة (وادي السرحان وحرض) ، فقد اكتشف نوع آخر من المستوطنات البدويــة خلال العمل الميداني ٠ وهذه هي المستوطنات البدوية في المناطق الريفية ٠ وهذه أيضا يطلق عليها اسم هجر ، وقد انشئت بعد عام ١٩٣٠، ولكن أغلبها أقيم منذ عام ١٩٥٠ ٠ وقد انشئت من قبل البدو دون أية مساعدة خارجية ٠

وقد انشيء الكثير من هذه الهجر من قبل المهاجرين من مستوطنات الهجــر



شكل (١) بعض مناطق توطين البدو فى السعودية

الاولى • كما توجهت الهجرات البدوية التلقائية نحو المراكز الحضرية الرئيسية • ويشكل هذا النوع الثالث من المستوطنات البدوية •

منطقـة الدراسة : القصيـم

لقد اختيرت منطقة القصيم في الشمال الاوسط من المملكة العربية السعودية كمنطقة دراسة للبحث في توطين البدو والمستوطنات للاسباب التالية :

- ان الباحث على دراية بالمنطقة •

- يوجد فيها انواع ذاتية وتلقائية النشأة من المستوطنات البدوية في المناطق الريفية والحضرية

- يفترض بأن عمليات التوطين في القصيم ممثلة للعمليات التوطينية الارتقائية • وقد استنتج هذا الافتراض من الحقائق التالية :

(أ) : الموقع المركزي لمنطقة الدراسة •

(ب) : عزلة المنطقة عن الانشطة النفطية •

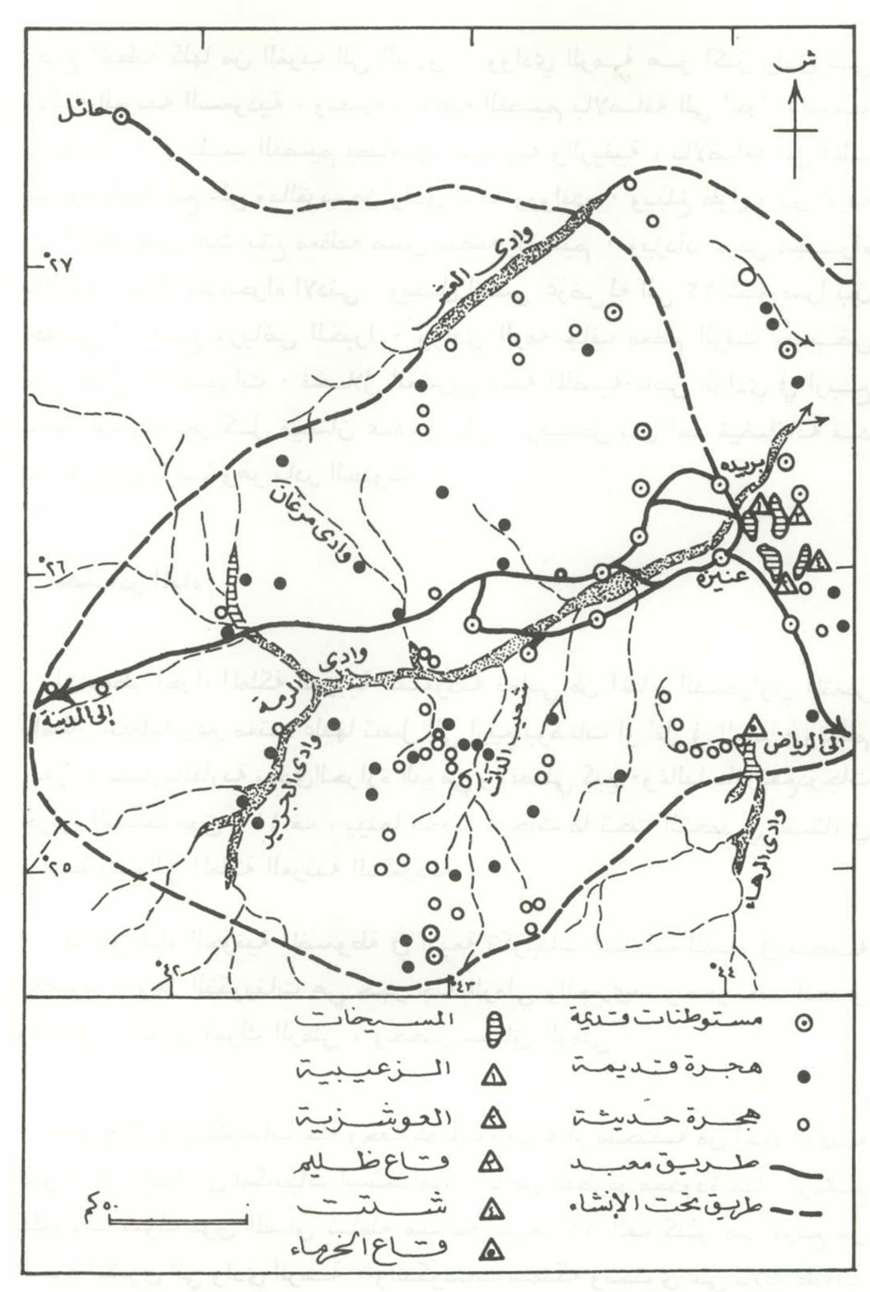
(حـ) : رغم التحسينات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة ، فان وظائف القصيم الزراعية ، وتربية الماشية والتجارة ما زالت تشكل اساس الاقتصاد فيها مع اضافات طفيفة • اي ان التغير عملية ارتقائية اكثر منها عملية جذرية •

- ان المنطقة واسعة بما فيه الكفاية (٦١٦٠٠ كيلو متر مربع) ويسكنها ٣٠٠ الف نسمة ، للكشف عن العملية الكاملة لتوطين البدو ومدى تأثيرها على انماط الاستيطان الحالية •

- ان القصيم هي من اكثر المناطق المحددة الوظيفة بشكل واضح في المملكة العربية السعودية •

نمـط التصريف (شكل ٢)

ان ابرز الخصائص الطبيعية لمنطقة القصيم هي وادي الرمة الكبير الذي



شكل (٢) : انماط التصريف المائى فى منطقة الدراسة

يقطع المنطقة كلها من الغرب الى الشرق · ووادي الرمة هو اكبر وادي في المملكة العربية السعودية ، ويصرف منطقة القصيم بالاضافة الى اجزاء واسعة من نجد · ان قلب القصيم بمناطقها الحضرية والريفية ، بالاضافة الى اغلب مستوطناتها يقع على وبالقرب من وادي الرمة وروافده · ويبلغ طول وادي الرمة ٦٠٠ كيلو متر حيث يقع معظمه ضمن منطقة القصيم · ويزداد عرض مجراه بالاتجاه شرقا عند مجراه الادنى ، ويصل اقصى عرض له الى ١٢ كيلو مترا بين مدينتي البدايع ورياض الخبرا · ووادي الرمة جاف معظم الوقت ويفيض مرة كل عدة سنوات · فخلال العشرين سنة الماضية فاض الوادي في اربع مناسبات واستمر كل فيضان عدة ايام · ويسجل بان احد فيضاناته قد دام لاربعين يوما وهو نادر الحدوث ·

مصادر المياه

ان معظم اجزاء المملكة العربية السعودية تعاني من المناخ الصحراوي المتميز بامطار متقطعة وغير معتمد عليها تصل الى اربع بوصات أو اقل في العام · ونظام الحرارة يمتازبالقارية ومدىالحرارة اليومي والفصلي كبير·وغالبا ماترتفعدرجات حرارة الصيف فوق ١١٠ ف ، بينما تحدث درجات ما تحت التجمد في الشتاء في اواسط وشمالي المملكة العربية السعودية ·

نتجمع المياه الجوفية المضغوطة في اربعة تكوينات استغلت للمياه في منطقة القصيم · وهذ التكوينات هي حجر جلة الرملي والجيري ، وحجر خف الجيري والرملي ، وحجر تبوك الرملي ، وحجر ساق الرملي ·

وتنتج كل من تكوينات جلة وخف كميات معتدلة أو منخفضة من المياه الرديئة النوعية · لهذا فان امكانيات استخدامها لمزيد من التطوير محدودة حدا · وتقع تكوينات تبوك فوق الساق شاملة مساحة قدرها ١٢ الف كيلو متر مربع من النفود الكبرى الى وادي الرمة · والتكوينات سميكة وتحتوي على ثلاث طبقات حاملة للمياه · ويحصل على كميات معتدلة الى جيدة من المياه المخزونة في

تكوينات تبوك · والى الشمال من وادي الرمـة ، فان الآبار العميقة المحفورة تظهر على شكل آبار ارتوازية ·

اما حجر الساق الرملي فهو اكثر المصادر المائية استغلالا ويحتوي على اكبـر الامكانيات · ويغطي الساق كل منطقة القصيم الى الشرق من الدرع العربـي وتشمل مساحة قدرها ٢٠ الف كيلو متر مربع (حوالي ثلث مجموع مساحـة القصيم) ، وتظهر تكوينات الساق في منطقة تزيد مساحتها عن ١٦ الف كيلـو متر مربع والتي تقع معظمها في القصيم وليس الساق فقط اوسع خزان للمياه في القصيـم وانمـا ايضـا اغزرهـا وافضلها في نوعية المياه ويعطي الساق مياها في كل مكان من القصيم ، وفي الاجزاء الشرقية تظهر الآبار على شكل ارتوازي · وفي منطقة الاسياح في اقصى الجزء الشرقي يوجد الساق على بعد الف متر تحت سطح الارض ، وتندفع المياه تحت الضغط الطبيعي في الخزانات الى اكثر مـن مائة متر فوق مستوى الآبار التي تعطي مياها تزيد عن مائة لتر في الثانية · وفي الغرب فان تدفق المياه أقل نسبيا · ويقدر بان هناك كميات كبيرة من المياه في تكوينات الساق كافية لغمر المساحة التي فوقها (٢٠ الف كيلو متر مربع) بمتوسط ستين مترا · ويعتقد بان نفس الكميات من المياه مخزونة في تكوينات تبوك · وهكذا فان تكوينات التبوك والساق بشكل خاص تتضمن امكانيـات لتزويد منطقة القصيم بالمياه في الحاضر والمستقبل للاستهلاك المنزلي والزراعـة والانشطة الاخرى ·

ان المياه في هذه الخزانات الضخمة عبارة عن مياه حفرية ، وان المياه السنوية المتسربة ليست ذات قيمة في تعويض هذه المياه · بالاضافة الى ذلك ، فانه يعتقد بان جزءا صغيرا من هذه المياه المخزونة يمكن استغلاله لانها عميقة جدا في الكثير من الاماكن · ومع ذلك ، فان مصادر المياه الجوفية في القصيم اكثر وفرة مما هي في بقية اجزاء المملكة العربية السعودية · هذه المياه يجب أن تكفي الاحتياجات الحاضرة والمستقبلية للمنطقة اذا ما اعطيت عناية ملائمة ·

مستوطنـات القصيـم

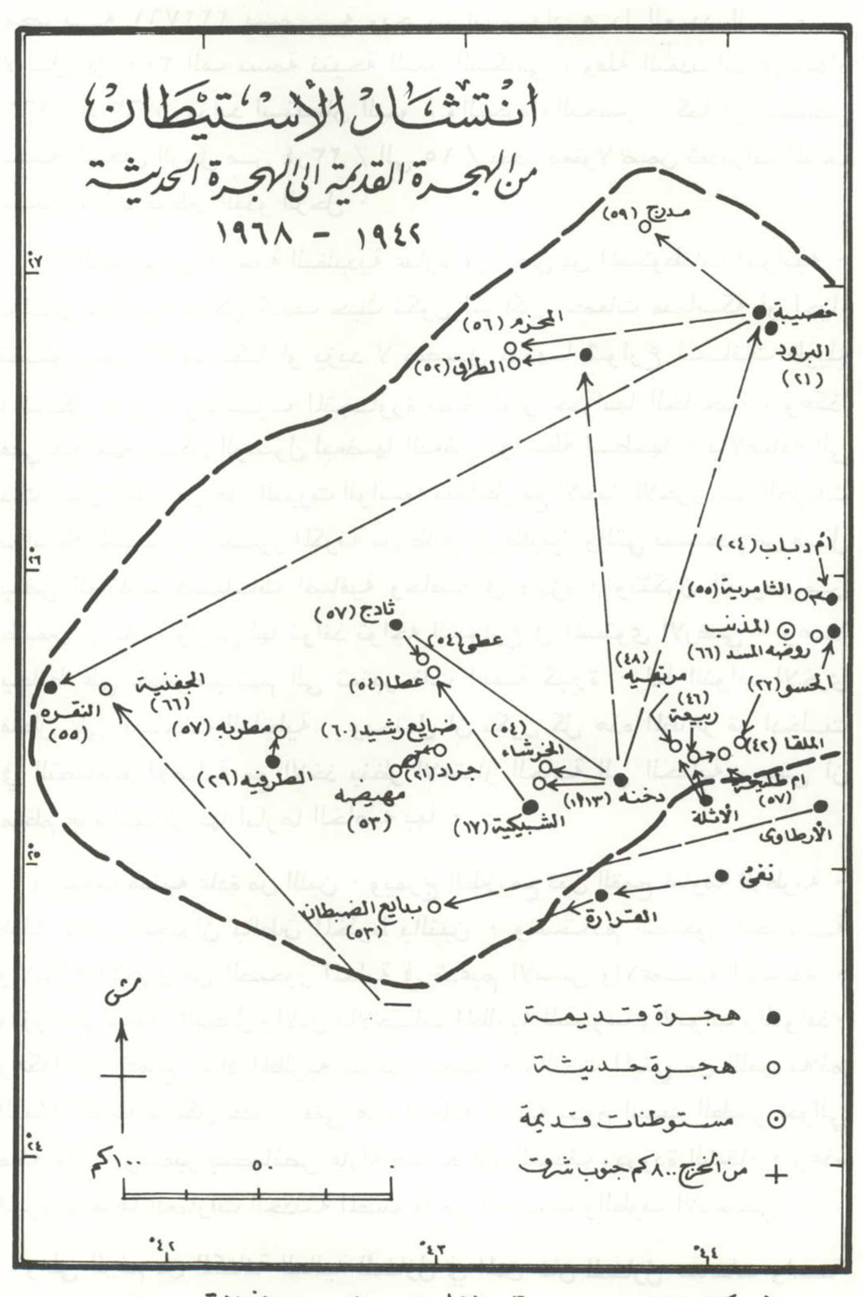
يمكن تمييز ثلاث مناطق ضمن منطقة القصيم على اســاس نمـط

الاستيطان : المنطقة الوسطى ، والهامشية ، والبعيدة · وتقع المنطقة الوسطى بالقرب من وادي الرمة وتتركز حول مدن بريدة و عنيزة والرس وتتضمن المنطقة الهامشية مناطق حول الوسط مثل مقاطعة الاسياح وقريتي قصيباء والقوارة · وتقع المنطقة البعيدة حول المطنقة الهامشية بعيدا عن الوسط ، وتتكون من اجزاء بعيدة لم تستوطن قبل القرن العشرين وقبل التوطن البدوي الحديث (شكل ٣)

ومازالت بريدة وعنيزة مركزين تجاريين هامين على الرغم من أن اهميتهما في وسط المملكة العربية السعودية يعيقهما نمو الرياض غير الاعتيادي · وعلى الرغم من أن بريدة وعنيزة ما زالتا تتاجران مع البلدان المجاورة ، فان تجارتهما تتجهان الان بشكل رئيسي نحو السوق الاقليمي والاجزاء الاخرى من المملكة العربية السعودية · وقد كانت عنيزة اكبر مدن القصيم وكانت اهم مراكزها التجارية والزراعية حتى هذا القرن · وخلال القرن العشرين ، ارتفع مركز بريدة وفاقت عنيزة في سكانها واهميتها · وقد ساهمت بضعة عوامل في ظهور بريدة واستمرار نموها · وقد اختيرت بريدة كعاصمة للمنطقة ، وقد جعل هذا من كل منطقة القصيم منطقة تابعة لها · وللمدينة ظهير كبير مكون من قرى كثيرة بينما يتكون ظهير عنيزة من قرى قليلة · وفي اواخر الخمسينات اكتشفت آبار ارتوازية عميقة في بريدة وحولها · وقد وسع ذلك زراعتها الى مستوى تجاري وخاصة في البطين الذي هو عبارة عن سهل يمتد لمسافة خمسين كيلو مترا شمالي بريدة · وبريدة اليوم مدينة مزدهرة فيها حوالي ٥٠ الف نسمة بينما زاد عدد سكان عنيزة الى حوالي ٣٥ الف نسمة ·

اما المدينة الثالثة في القصيم فهي الرس التي يبلغ سكانها حوالي ١٥ الف نسمة · والرس عبارة عن مركز اقليمي للاجزاء الغربية والجنوبية الغربية من القصيم · وقد زاد تاهمية هذه المدينة بشكل كبير خلال هذا القرن كنتيجة لاستيطان البدو الذي جعل من الرس مركزا لعشرات القرى البدوية · والمدينة الرابعة هي البكيرية التي يبلغ عدد سكانها ١٢ الف نسمة · وتخدم المدينة سوقا محليا وعدة قرى مجاورة ·

وقد بلغ عدد سكان القصيم في تعداد السكان العام لسنة ١٩٦٢ ـ ٦٣ ما



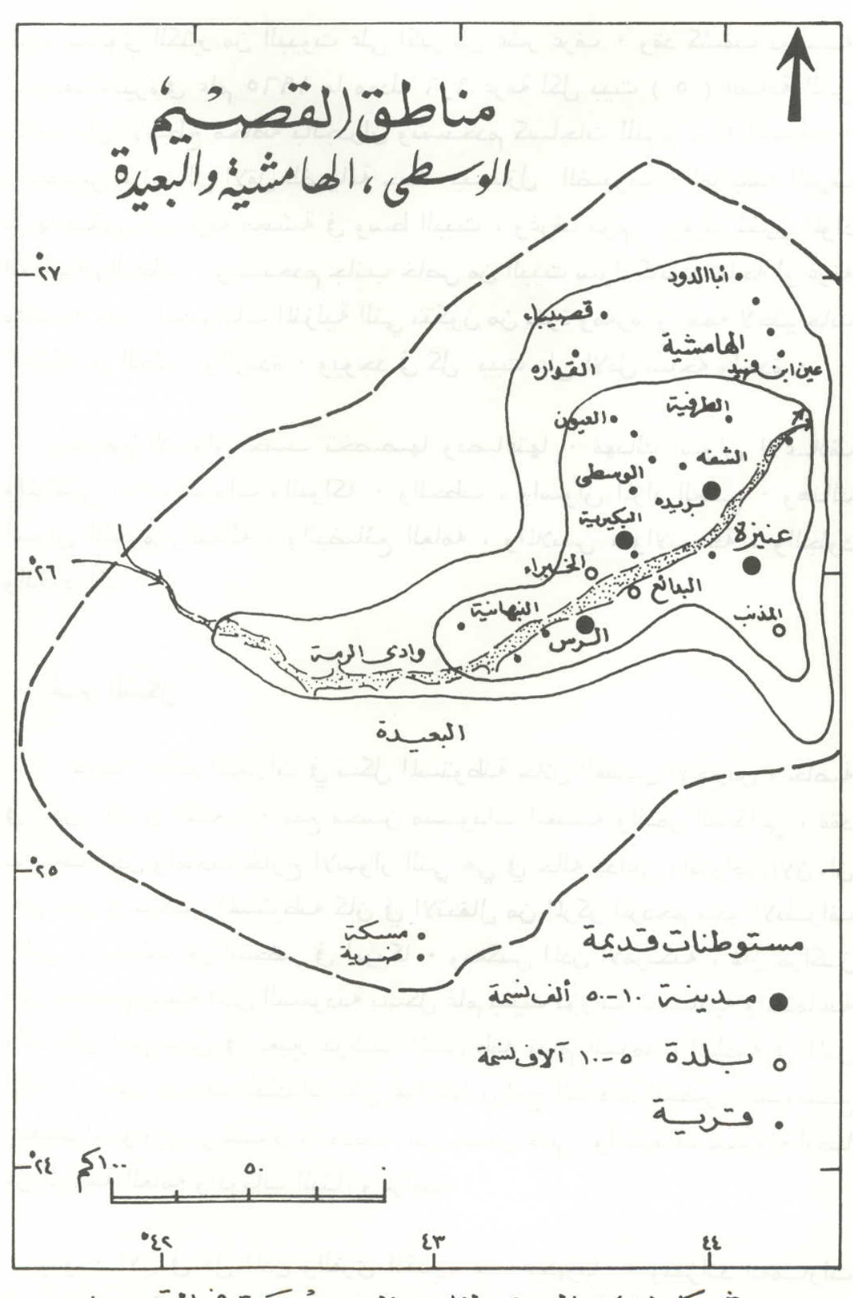
شكل (٣) : مستوطنات البدو في القصيم

مجموعه ٢٢٢٧٦١ نسمة ويجب أن يزاد هذا العدد الى ما لا يقل عن ٣٠٠ الف نسمة نتيجة للنمو السكاني ، وقلة التقديرات في تعداد ١٩٦٢ ـ ٦٣ ، وتزايد استيطان البدو ، والهجرة والتحضر · كما أن انخفاض نسبة السكان الرحل من ٢٣٫٤ ٪ الى ١٥ ٪ يبدو معقولا ضمن تقديرات المؤلف بسبب تزايد توطين البدو الرحل ·

ان القصيم من الناحية التقليدية عبارة عن ارض من المستوطنات النواتية · فالمدن متراصة بشكل كثيف حيث تكون المساكن تجمعات متماسكة أو احياء تتكون من ٣٠ مسكنا أو يزيد لا يفصل بينها شوارع لمسافات طويلة (شكل ٤) · والبيوت المتجاورة تشترك في جدرانها الخارجية ، وهكذا فهي متداخلة ويمكن الوصول لبعضها البعض بواسطة اسطحها · بالاضافة الى ذلك ، فان الكثير من هذه البيوت الواسعة تتداخل مع الاحياء الاخرى عبر الطرقات بواسطة القباب أو الجسور المكونة من طابق أو طابقين والتي تستخدم من قبل بعض العائلات كمساحات اضافية وخاصة في عنيزة · وتتكون البيوت من طابقين أو ثلاثة وليس لها نوافذ تواجه الشوارع في المستوى الارضي · وهذا يحافظ على خصوصياتهم الى تعتبر ذات اهمية كبيرة · اما النوافذ الاخرى فتطل على الساحات الداخلية · ويحتمل أن تكون كل هذه المظاهر قد ادخلت في التصاميم الاصلية مع الاخذ بنظر الاعتبار الحاجة الى الحماية ، حتى أن معظم هذه المساكن لها ابارها الخاصة بها ·

والبيوت مبنية عادة من اللبن · ويمزج الطين مع تبن القمح لمقاومة الرطوبة · كذلك تغطى الجدران بالطين المخلوط بالتبن · وتستخدم الصخور الجيرية والانواع الاخرى من الصخور المحلية في تدعيم الاسس والاعمدة المساندة · وتزودهم اشجار النخيل والاثل بالاخشاب المطلوبة للسقوف والابواب والنوافذ · وهكذا فان جميع المواد المطلوبة متوفرة محليا · والبيت المبني من اللبن يلائم البيئة المحلية بشكل جيد · ففي هذه المنطقة الجافة يدوم البيت الطيني حوالي مائة عام · ويتميز بخصائص عازلة ضد حرارة الصيف وبرودة الشتاء · وهذه الميزة تفتقدها العمارات الحديثة المصنوعة من الاسمنت والطوب الاسمنتي ·

وعلى الرغم من الكثافة العالية للمنازل في المدن فان للمنازل ساحات واسعة



شكل (٤): المستوطنات القديمة في القصيم

حيث تحتوي الكثير من البيوت على اكثر من عشر غرف • وقد كشفت دراسة الشريف لعنيزة في عام ١٩٦٥ ما معدله ٩٫٦ غرفة لكل بيت (٥) اضافة الى ذلك ، فان الاسطح محاطة بالجدران وتستخدم كساحات للنوم طيلة الصيف • وتخصص غرفة على الاقل للضيافة حيث ينـزل الضيوف • اما بقية الغرف فانها تتكون من غرفة معيشة في وسط البيث ، وغرف نوم ، وغرف لخزن المواد الغذائية والحطب • ويستخدم جانب خاص من البيت سواء كانت ساحة أو غرفة ملاصقة لايواء الحيوانات المنزلية التي تتكون من بقرة ومعزة أو غنمة لاحتياجات العائلة من الحليب والزبدة • ويوجد في كل بيت على الاقل ساحة واحدة •

وتتجمع الاسواق حسب تخصصها وبضاعتها • فهناك اسواق الاعلاف والمواشي ، والخضروات والفواكه • والحطب ، واسواق المزاد العلني • وهناك اسواق اللحوم والبقالة ، والبضائع العامة ، والملابس ، والانسجة ، والجلود والخردوات •

تغير الشكل

حدثت معظم التغيرات في شكل المستوطنة خلال العقدين الاخيرين ، خاصة في المدن والقرى الكبيرة • فمع تحسن مستويات المعيشة والنمو السكاني ، فقد توسعت المدن وامتدت خارج الاسوار التي هي في حالة تداعي وانقراض الان • ان اهم تغير في تركيب المستوطنة كان في الانتقال من المركز المزدحم نحو الاطراف والتي لا تختلف عن التحضر في امريكا • وبعكس المدن الامريكية ، فان مراكز مدن القصيم وبقية المدن السعودية بشكل عام بقيت بؤرات اقتصادية واجتماعية. ولقد كان اهم عامل في تغيير تركيب المستوطنة قيام الخدمات البلدية في المدن الكبيرة • فقد اتخذت البلديات على عواتقها برامج التجديد الحضري بتوسيع وتعبيد الشوارع ، وتحسين وتحديث المدن بشكل عام • والبلديات مسؤولة ايضا عن الصحة العامة واذونات البناء والمراقبة •

ويوجد الان في كل المدن والقرى الكبيرة مياه وكهرباء • وتتزايد العمارات الحديثة المبنية من الاسمنت والطوب الاسمنتي بشكل سريع وخاصة المدارس

والمستشفيات ، والمساجد ، والمخازن ، وعمارات الشقق · وتمثل هذه العمارات الحديثة تحولا جذريا من بناء اللبن الذي ساد المنطقة باكملها · ومع ذلك فان البيت الطيني ما زال النوع الشائع · وتتزايد اعداد المركبات بسرعة لاحقة بمحطات الوقود ومحلات تصليح السيارات · وقد جعلت الطرق المعبدة في المنطقة السيارة اكثر شعبية · ففي عام ١٩٧٠ كان هناك مركبة لكل ٣٥ شخصا في القصيم بالمقارنة بمركبة لكل ٥٨ شخصا في كل المملكة العربية السعودية · (٦)

وهناك ثلاثة ممرات لهبوط الطائرات في بريدة وعنيزة والرس ، ولكنها هجرت في عام ١٩٦٥ بعد اكتمال مطار القصيم المركزي في سهل المليدة ، على بعد حوالي عشرة كيلو مترات شرقي البكرية · وقد صمم هذا المطار لخدمة كل منطقة القصيم · ويخدم المطار رحلات منظمة من الخطوط السعودية التي تربط القصيم ببقية اجزاء الدولة ·

وقد تم انشاء خدمات هاتفية بين المدن الرئيسية · كما انشئت محطة تلفزيون في بريدة ويمكن التقاطها في جميع اجزاء القصيم · اما الصناعة في القصيم فهي محددة بالصناعات اليدوية ومحلات التصليح · ومن المتوقع في المستقبل القريب ان تنتعش في المنطقة بعض الصناعات خاصة تلك المتعلقة بتحويل المواد الخام والمنتجات الزراعية · (٧) ·

الزراعة

ان اساس الاستيطان في القصيم الزراعة · وهناك على الاقل ٣٥ ٪ من السكان يعتمدون بشكل مباشر على الزراعة · وتزيد هذه النسبة بالطبع في القرى وتقل في المدن · ففي بريدة وعنيزة والرس يشتغل حوالي ثلث السكان بالزراعة · ان هذه المراكز الحضرية هي واحات كبيرة ، ومن بين انشط المراكز الزراعية في الدولة · وربما مثلت عنيزة اهمية الزراعة في القصيم · ففي عنيزة توجد استخدامات الارض الحضرية والريفية جنبا الى جنب · فبالقرب من مركز المدينة توجد اجود اشجار النخيل وحقول الزراعة المكثفة في القصيم · وتنفصل اجزاء كثيرة من عنيزة عن بعضها البعض بحقول مزروعة تعطي المدينة كلا

المظهرين الحضري والريفي

وتعتمد الزراعة بشكل كامل تقريبا على الري من المياه الباطنية في القصيم وهناك الان اكثر من ٢٠٠ بئر ارتوازية كلها تقع في الجزء الشرقي من القصيم وهذه آبار عميقة الحفر تتراوح اعماقها من ٥٠٠ متر قرب بريدة الى اكثر من الف متر في الاسياح في شرقي القصيم ٠ وتنتج الآبار الارتوازية كميات كبيرة تبلغ في بعضها أكثر من مائة لتر في الثانية ٠ وحفر هذه الآبار مكلف ولهذا فهي تعود الى المزارعين الاغنياء أو الى مجموعة من المزارعين ٠ ولهذا فان الزراعة المعتمدة على المياه الارتوازية عبارة عن عملية تجارية على مستوى كبير ٠ وتنتج معظم خضراوات القصيم من هذه المزارع وتسوق في منطقة القصيم وفي اجزاء اخرى من الدولة ٠ ويجب التذكر انه في مناطق القصيم الواقعة ضمن الدرع العربي فانه لا توجد خزانات حاملة للمياه ، ولهذا فان مياه الري تستخرج من آبار ضحلة ٠

وتزدهر أشجار النخيل بدون ري في مناطق معينة حيث مستوى المياه ليس عميقا كما هو الحال في قيعان الوديان ٠ واهم شجرة غير مروية في المنطقة هي الاثل ٠ ويزرع شجر الاثل في مناطق النفوذ (الكثبان والاغطية الرملية) حول المزارع والواحات في جميع اجزاء القصيم لتثبيت ووقف زحف الرمال ٠ ويروى الاثل لمدة عام واحد بعد غرسه ويعيش بعد ذلك بدون ارواء ٠ ان اوسع مناطق زراعة الاثل واكثرها نجاحا في تثبيت الرمال في وحول عنيزة ٠ والنتيجة عبارة عن حزام من غابة اثل يمتد مسافة ١٥ كيلو مترا من الشمال الى الجنوب وبعرض خمسة كيلو مترات من الغرب الى الشرق يتضمن ما لا يقل عن مليون شجرة ٠ وقد نجحت الغابة في وقف حركة الرمال باتجاه المدينة ٠ بالاضافة لذلك تزود الاثل هذه المنطقة النادرة النبات الطبيعي بالاخشاب وحطب الوقود ٠

ان ملكيات الارض الزراعية في القصيم كبيرة ٠ وقد تزايدت الارض المزروعة باكثر من الضعف بين عام ١٩٦٠ ــ ٦١ وعام ١٩٧٠ ــ ٧١ ٠ ففي عام ١٩٦٠ ــ

٦١ قدر تالارض المزروعة في القصيم بحوالي ٨ ٪ من مجموع الارض المزروعة في الدولة ، وزادت النسبة الى ٩ر٦٤ ٪ في عام ١٩٧٠ ـ ٧١ ٠

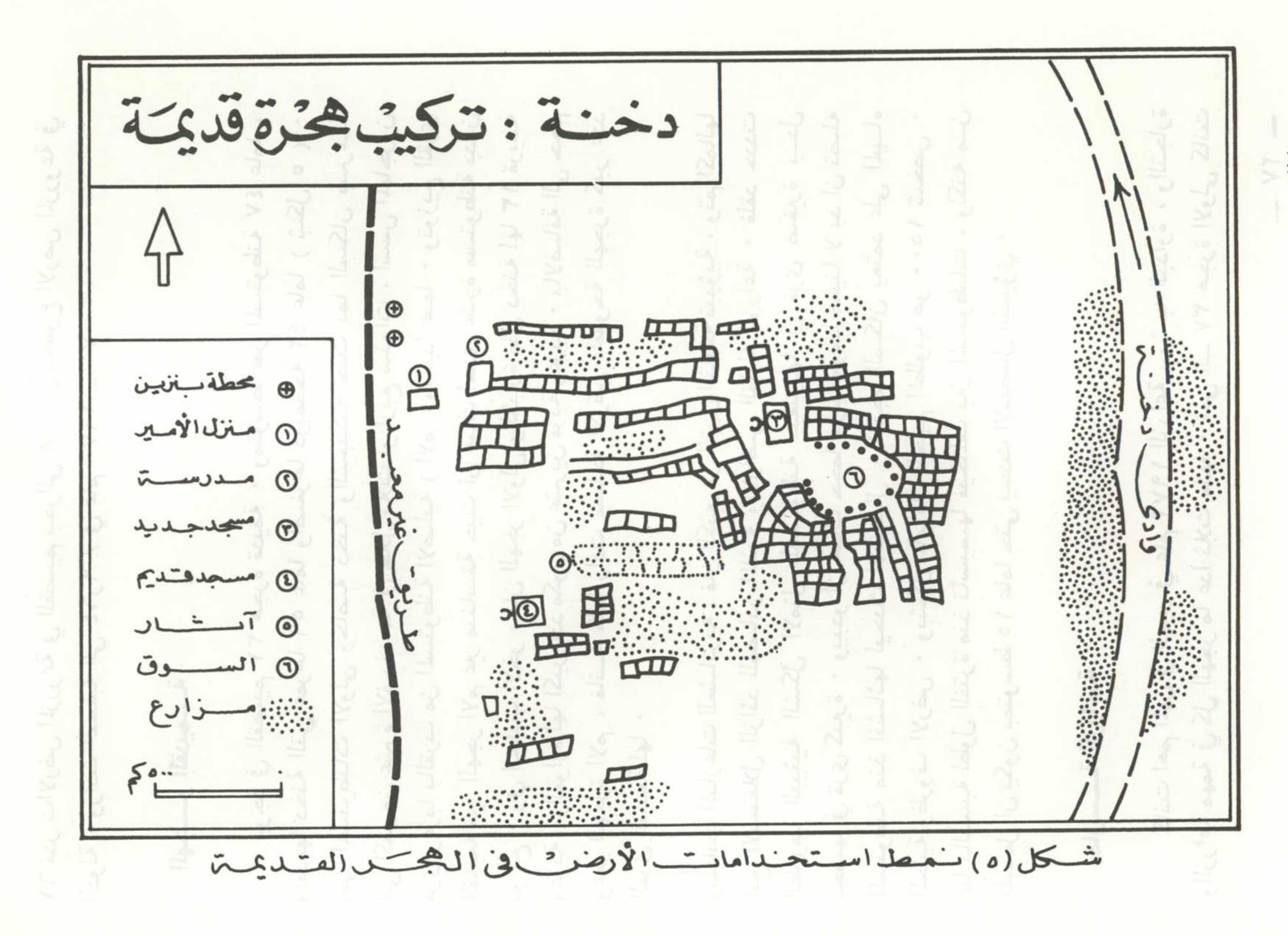
الهجــــر القديمـــة

يوجد في القصيم ٣١ هجرة قديمة ٠ ومتوسط عمر المستوطنة ٤٧ عاما ، واقدمها دخنة التي عمرها ٥٩ عاما واصغرها دريميحة ٤٢ عاما (شكل ٥) ٠ ففي المستوطنات الاولى وخاصة دخنة والشبيكية حيث نما السكان بسرعـة الى اكثر من عشرة الاف نسمة في خلال ثلاث أو اربع سنوات ، اسس المهاجرون قرى وعزبا بالقرب من المستوطنة الاصلية (الام) وبعيدا عنها ٠ وتوزيع القرى التابعة بين الهجر الام غير متناسقة حيث أن هناك احدى عشرة مستوطنة بدون توابع ٠ وفي الجانب الاخر ، فان الهجر الاولى والكبيرة مثل دخنة لها ١٣ قريـة وعزبة ،والقوارة لها اكبر عدد مكون من عشرين قرية وعزبة ٠ بالاضافة الى حجم وعمر الهجرة الام ، فانــه كلما زادت مساحة الارض الممنوحة للهجرة كبر عدد القرى التابعة لها ٠

وبجانب المنازعات العشائرية ، فان الكثير من القرى التابعة تبيؤية ، وتم اكمالها لمنع الاستغلال الزائد للمصادر المائية والاراضي القابلة للزراعة ٠ فلقد حددت الظروف البيئية الشكل الامثل للمستوطنة ببعثرتها في قرى صغيرة بـدل تجمعها في قرى كبيرة ٠ ويبدو أن هناك حجما حرجا ووقتا معينا لا بد أن تصله المستوطنة منذ انشائها ليحدث الانفصال ٠ فحجم السكان يعتمد على الميـاه المحلية وظروف الارض ٠ وبشكل عام فان الحجم المطلوب هو ١٥٠٠ شخص ٠ اما بالنسبة لطول الفترة منذ تأسيسها فيختلف بين المستوطنات ، ولكنه مـن المحتمل ان يكون بمتوسط ١٥ عاما حتى يحدث الانفصال التبيؤي ٠

ممارســـة الزراعـة

كانت اهم المهن في الهجر في عام ١٩٧٢ الزراعة ، وشبه البداوة ، والتجارة والزراعة مهمة في كل الهجر ما عدا ثلاث منها ٠ ففي الـ ٣٧ هجرة الاولى كانت



شكل (٥) نمط استخدامات الأرض في الهجر القديمة

نسبة السكان المشتغلين بالزراعة ٣٨٫٣٢٪ ٠ وكان متوسط الملكيات (المزارع) الزراعية ١٣٠ ملكية للهجر ٠ وبلغت الارض المزروعة لكل هجرة في المتوسط ٥٩٤٢ دونما ٠ وعلى الرغم من أن مساحة الارض المزروعة ترتبط الى حد ما بحجم المستوطنة ، الا انها اكثر ارتباطا بمواقع مفضلة في الوديان الرئيسية ، قرب مركز القصيم وشرقيه حيث تزداد الارض المزروعة فجأة ٠

ان ما يزيد عن ثلث سكان الهجر يعملون في مزارع للعائلة أو خاصة بهم ٠ وهذه هي اهم وسائل المعيشة في جميع الهجر الـ ٣٧ ما عدا خمس منها ٠ ويبحث عن الزراعة الكثير من المستوطنين وينظر اليها كحرفة نبيلة ٠ والكثير من المستقرين يحلمون باليوم الذي يستطيعون فيه امتلاك مزارعهم الخاصة والعمل فيها ٠ ان هذه الحقيقة ترفض الافتراض الذي ساد لفترة طويلة من أن البدو يحتقرون الزراعة ويترفعون عن العمل بالارض ٠

وبينما كان هذا تاريخيا صحيحا ، وخاصة للبدو الخلص الرحل الذين كانوا ينظرون الى الزراعة كنوع من العبودية ، الا ان هذه ليست الحالة في الوقت الحاضر ٠ لقد تعرضت القيم البدوية واقتصاديات المملكة العربية السعودية لتغيرات شديدة خلال هذا القرن ، وكذلك فان هذه التغيرات تتسارع ٠ ويدرك البدو ان الزراعة وامتلاك الارض تزودهم بالطمأنينة اكثر ما قدمته لهم حياة البداوة ٠

شبه البداوة

يعتبر شبه البداوة ثاني اهم حرفة بعد الزراعة في الهجر ٠ ويعرف شبه البداوة في الهجر بأولئك البدو الذين يقضون معظم السنة في المستوطنة ولكنهم يأخذون ماشيتهم (اغلبها اغنام) ويذهبون الى الصحراء خلال فصل الرعي الشتوي ٠ ويمكثون هناك ثلاثة اشهر في المتوسط ٠ والهدف من هذه الدورة هو استغلال الاعلاف الطبيعية لتسمين ما تبقى من ماشيتهم ٠ وغالبا ما يأخذون معهم مواشي مستوطنين آخرين على اساس الرسوم ٠ وهذه المزاولة هي بشكل رئيسي لدعم دخلهم ، كما ان لها قيمة اجتماعية ، ولها مدلولات بدوية

اصيلة ٠ والكثيرون من المستوطنين يتمسكون بتراث الاسلاف ، وان هذه الناحية من شبه البداوة تزودهم بالحنين الى اشكال الحياة القديمة في الوقت الذي يحافظون فيه على مزايا الحياة المستقرة ٠ وقد جعلت المسافات القصيرة بين مخيمات المراعي والهجر حركة الرواح والمجيء ممكنة بالشاحنات وعلى اساس يومي ٠ ان التعاون بين عائلات الرعي يؤدي الى حركة رواح ومجيء يومية ، والى احضار الاطفال للمدارس والعودة بهم الى المخيم ، وفي نفس الوقت شحن المياه والاحتياجات الاخرى الى المخيم ٠

ولان حوالي ثلثي سكان الهجر يبقون في المستوطنات ، فان الانشطة الزراعية لا تتأثر بشكل عكسي من حركة الترحال هذه ٠ فوقت الترحال يتصادف مع انخفاض الانشطة الزراعية عندما تكون التمور والخضراوات قد حصدت ، وزرع لتوه قمح الشتاء ٠ ان الفرضية القائلة بان بدو الهجر يحافظون على نسب عالية من شبه الرحل قد تم اثباتها ٠ ان العامل المتحكم باعداد شبه الرحل في الهجر هو المناخ الذي يترك آثاره على الرغبات الكامنة في النفوس ، ففي سنوات الرعي الجيدة تزيد نسبة السكان شبه الرحل ويزيد طول فترة البقاء في الصحراء ، بينما يقلان بشكل كبير في السنوات الرديئة ٠ ففي عام ١٩٧٢ ،التي كانت سنة رعي جيدة بشكل استثنائي ، فقد بقي بعض رعاة الهجر تسعة اشهر بدل الفترة الاعتيادية التي تمتد شهرين أو ثلاثة ٠

ان منطقة الرعي عبارة عن حلقة دائرية حول كل هجزة ، وتتكون من محليات معينة معروفة باعلافها الجيدة ٠ والكثير منها عبارة عن نطاقات رعوية قبلية قديمة ٠

ان الرأي القائل بان البدو المستقرين سيحافظون على عاداتهم القبلية وتنظيماتهم التي لا تتعارض مع حياة الاستقرار قد تم التأكد منه ٠ فكل قبيلة تستقر في ديرتها القبلية الخاصة بها ٠ ويحافظ رئيس القبيلة على سلطته في المستوطنة كامير لها ، وسلطته معترف بها من قبل الاعضاء الرحل في القبيلة ٠ ولقد تعرضت مصادر قوة وهيبة الرئيس للتغيرات ٠ ففي الوقت الحاضر ، يستمد الرئيس سلطة وهيبة واسعة من قدرته على تمثيل قبيلته عند الحكومة

والحصول على نتائج كالمدارس والعيادات الصحية والآبار المحفورة ٠

التجـــــارة

تعتمد المستوطنات البدوية بشكل شديد على المراكز الحضرية للقصيم في التجارة والخدمات الاجتماعية والحكومية ٠ فبريدة ، عاصمة القصيم ، هـي المركز التجاري الرئيسي لهجر البدو ٠ وبسبب تناثر سكان الهجر وعزلتهم ، فان عليهم الاعتماد على خطوط تجارية طويلة مع المدن ٠ فمتوسط المسافة بين هجـر البدو وشريكهم التجاري الاول (المدينة الاولى) هي ٥ر١١٤ كيلومترا ٠ ومتوسط المسافة لشريكهم التجاري الثاني (المدينة الثانية) تزيد الى ٣ر٢٢٠ كيلو مترا ويصل متوسط المسافة للشريك التجاري الثالث (المدينة الثالثة) الى ٢٥٦ كيلو مترا ٠ ومعظم التجارة تجري مع مدينة واحدة ، وكثير من المستوطنات لها منفذ تجاري واحد ٠ ان ارهاق المسافة ما زالت مشكلة مستمرة في وجه الاقتصاديـات المتقنة ، وسيؤدي مـد الطرق المعبدة من الدرجة الثانية الى تقليل تأثير المسافة ٠

الهجرة خارج المستوطنـات

الهجرة الى الخارج شائعة في الهجر ٠ ففي عام ١٩٧٢ ، فان ما يزيـد عن ثلث السكان (٤ر٣٦ ٪) تركوا مستوطناتهم ٠ ان هذه الهجرة الى الخارج يمكن أن تكون اكبر مما هو في المناطق الريفية ولكنها ليست غير اعتيادية ٠ ويعتقد بان عددا يعادل نصف سكان عنيزة على سبيل المثال هجروا المدينة ٠ اما الهجرة الخارجة من الهجر الى المدينة ، فيجب أن ينظر اليها من ناحية البدوي الراحل الذي يغير طريقة حياته بخطوة مفاجئة ، وربما يختار بالمصادفة منطقة هامشية أو منعزلة لاستيطانه المبدئي ٠ اما المهاجرون الذي يقصدون المدينة فانهم ينزلون في الاطراف الحضرية ٠

ان المهاجرين الى الخارج من هجر البدو في القصيم يتجهون الى جميع اجزاء المملكة العربية السعودية وحتى الى الكويت حيث يخدمون في الجيش ٠ الا أن معظمهم يتجهون الى المراكز الحضرية الكبيرة كالرياض والدمام وجدة ومكـة والمدينة والقصيم ٠ ويشتغل معظمهم لدى الحكومة وخاصة في الحرس الوطني ،

وفي القوات المسلحة ، والشرطة الوطنية ، وبعضهم في الخدمة المدنية • بينما يجد الاخرون وظائف في البناء ، والشحن ، وخدمات التاكسي ، وحراس خصوصيين وما شابه ذلك من اعمال •

ومع ذلك ، فان المهاجر يحافظ على علاقات قوية بينه وبين اقاربه في الهجر • وكثير من المهاجرين تركوا عائلاتهم وراءهم لانهم لم يخططوا للبقاء فترة طويلة • وتنحصر زيارات العودة الى القرية ببعض العطلات القليلة • ويبدو أن المسافة تشكل حاجزا امام المزيد من اللقاءات الشخصية المتكررة •

امدادات الميـــاه

ان ما يقارب ٢٦ ٪ من الهجر تتمتع بمياه صالحة للشرب ، بينما مياه ٣٤ ٪ منها مالحة أو من نوعية متوسطة ، و ٤٠ ٪ منها فيها مياه مالحة غير صالحة للشرب • ومن الواضح أن معظم الهجر تعاني من نقص في نوعية المياه الجيدة اكثر مما تعاني من الكمية • ويوجد في ١٠ ٪ من الهجر البالغ عددها ٣٧ مياه حلوة ، وتقع جميعها اما في القصيم الشرقي أو بالقرب من الجبال الجرانيتية •

ويتم الحصول على مياه الري في الغالب من آبار ضحلة في مناطق الدرع العربي بسبب غياب خزانات الحجر الرملي • كما توجد الآبار الضحلة في مناطق الصخور الرسوبية ، الا أن الابار العميقة الحفر تنتج مياها من الخزانات الحاملة للمياه •

وتحصل المستوطنات الواقعة في الدرع العربي على مياهها الجوفية من آبار ضحلة تعتمد على الجريان السطحي • والمصادر المائية هنا طفيفة وامكانات التوسع محدودة • وفي الجانب الاخر ، فان المستوطنات الواقعة على صخور رسوبية غالبا ما تكون آبارها ضحلة ، كما انه يمكنها الوصول الى خزانات اعمق تسمح بتوسيع الزراعة •

اما المشكلة الاخرى المتعلقة بامداد الماء فهي وجود المياه الاستهلاكية • فان

٤٠ ٪ فقط من الهجر لديها مياه صالحة ومناسبة للشرب من مصادر محلية ٠ كما ان اربعا من الهجر يوجد في بيوتها مياه جارية ٠ وهناك نصف أو ما يعادل ١٨ من الهجر ليس لديها امدادات محلية من المياه الاستهلاكية ، أو انه ليس لديها امدادات مناسبة حيث لا بد من جلبها من مصادر خارجية ٠ وكان لا بد لوزارة الزراعة من التدخل لشحن المياه الى هذه الهجر بدون رسوم ٠ وتخصص لهذه القرى نسبة معينة حسب حجم السكان ورداءة المشكلة ٠ والمشكلة في نقل المياه هي في المسافات الطويلة ٠ فمتوسط المسافة من مصادر المياه الى نهاياتها هي ٤٠،٤٧ كيلو مترا ٠ وقد نقلت المياه في عام ١٩٦٥ الى ما مجموعه ٤٦٤ قرية في جميع ارجاء المملكة العربية السعودية متضمنة حمولات ٨٩٢٨ سيارة في الشهر بكلفة مجموعها ٦ر٤٥٥ر٣٨٨ ريالا سعوديا ٠

ومنذ عهد قريب ، فقد عملت الحكومة على تقليل دورها كمزود للمياه ، بسبب تزايد الكلفة وكثرة القرى البدوية ٠ وبدلا من ذلك ، فقد ركزت على حفر الآبار في القرى وفي الصحراء ٠ ان الحكمة والتبريرات الاقتصادية لنقل المياه يمكن توجيه الاستفسارات بشأنها ، ولكن البدائل الاخرى كانت تعاني من النقص وكانت مؤلمة للمستوطنين ، فالكثيرون من المستوطنين لا يستطيعون دفع التكلفة العالية لنقل المياه ، وهكذا يمكن أن يضطروا الى الهجرة الى المدن ، وهذا البديل يسبب خسارة فادحة لمشروع الهجر ٠ لهذا فان حفر الآبار في مثل هذه القرى هو سياسة منطقية ، ولكنها ستترك الكثير من المستوطنات التي تعاني من نقص في المياه الصالحة للشرب في المناطق المحيطة بها تواجه مشكلات مستعصية الحل ٠

وحتى يمكن تطوير انظمة بديلة ، فانه لا بد من استمرار نقل المياه بأي شكل من الاشكال ٠ ان مد شبكات الطرق المعبدة سيزيد من سرعة وصول امدادات المياه وتخفض من تكاليف النقل ٠ وربما تأخذ وزارة الزراعة في المدى البعيد امكانية انشاء نظام شامل جديد للمياه ٠ ان مثل هذه الخطة ستضمن استمرار اهمية هذه المستوطنات ، وستفتح الطريق امام المزيد من المناطق للاستيطان ٠

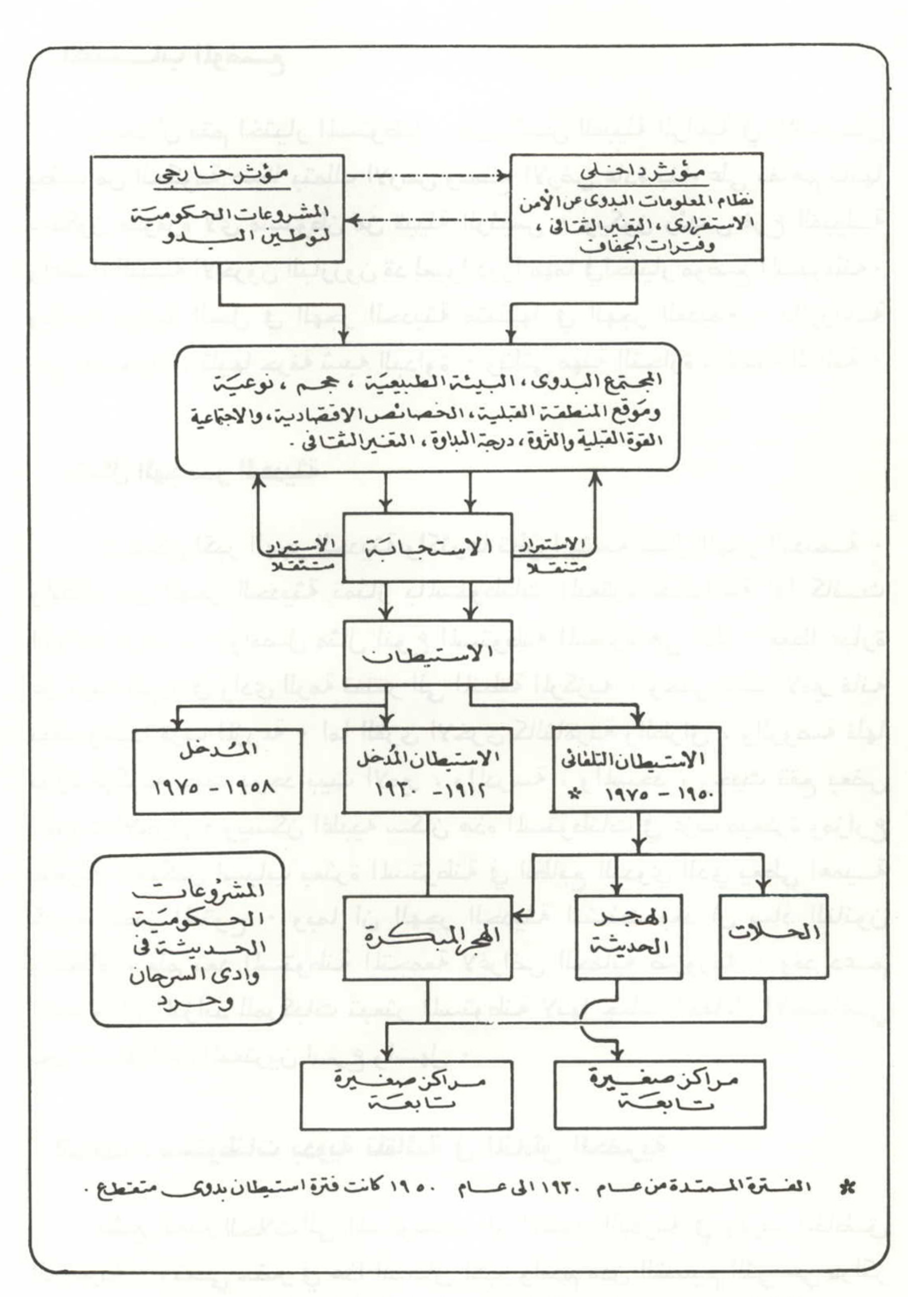
الهجر الحديثة : المستوطنات التلقائية في المناطق الريفية

لقد تطورت الهجر الحديثة الى الاستيطان الريفي البدوي التلقائي الجديد ، بعد عا م١٩٣٠ ، أو نتيجة الهجرة من الهجر الاولى · وبعكس الهجر الاولى ، فقد بدأت هذه العملية الاستيطانية بشكل رئيسي لاسباب اقتصادية ولاغراض امنية متعلقة بحياة الاستقرار اكثر مما هي بواعث دينية (شكل ٦) · وقد تم خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٩ انشاء ٢٨ هجرة جديدة وكانت فصول الجفاف خلال ١٩٥٢ ــ ٥٣ حرجة بشكل خاص بالنسبة للبدو الرحل ، واستدعى ذلك انشاء ١٤ هجرة حديثة ولقد كان عام ١٩٥٣ قياسيا عندما بدىء بثماني هجر · وقد انشئت ١١ هجرة خلال الستينات ·

وقد ترددت وزارة الزراعة والمياه بين ١٩٦٨ و ١٩٧٢ في منح مواضع جديدة ومنح اراض قبل أن يتم اكتمال مسح المياه والتربة · وبعد عام ١٩٧٢ افتتحت وزارة الزراعة والمياه مناطق جديدة ثبتت صلاحيتها للزراعة والاستيطان · وحتى عام ١٩٧٢ كان هناك ما مجموعه ٤٤ مستوطنة بدوية من نوع الهجر الحديثة · وهذه المستوطنات بشكل عام اصغر في سكانها واعداد القرى والعزب التابعة لها من الهجر القديمة · وقد انتجت الهجر الحديثة بعض القرى التابعة لها وعزبا خاصة بها · ويوجد للهجر الحديثة ما متوسطه ١ر٧٥ قرية تابعة لكل مستوطنة وهذا يعطي ما مجموعه ٧٥ قرية وعزبة ·

اختيـــار الموضـع

لقد اصبح موقع الهجر الحديثة يميل الى المناطق البعيدة والهامشية اكثر مما هو في حالة الهجر القديمة · وقد وضعت الهجر الحديثة قرب الاودية الرئيسية أو في مواضع منخفضة حيث يمكن الحصول على المياه بسهولة ومن المزايا الرئيسية التي تتمتع بها الهجر الحديثة أكثر من الهجر القديمة في اختيار موضع المستوطنة هي التكنولوجيا المتوفرة · وقد تم انشاء الكثير من الهجر الحديثة بعد انتشار حفر الآبار بالطريقة الميكانيكية · وكان نجاح حفر الابار عاملا رئيسيا في اختيار مواضع ثمانـــي مستوطنات ·



شكل (٦) : إطار عام لعملية الاستيطان البدوى

اكتســـاب الموضــع

وبعد أن يتم اختيار المستوطنة ، فان رئيس القبيلة الراغبة في الاستيطان يطلب من الحكومة صكا بتملك الارض وتمنح الارض عادة بناء على تفاهم بانها ستكون متوفرة لاي مستوطن من قبيلة الرئيس . ويكون رئيس فرع القبيلـة واعضاء القبيلة الاخرون البارزون قد لعبوا دورا مهما في اختيار موضع المستوطنة. وتشبه نوعية العمل في الهجر الحديثة مثيلتها في الهجر القديمة . فالزراعـة هي اهم حرفة ، تليها حرفة شبه البداوة . وتأتي مهنة التجارة بالمرتبة الثالثة .

شكل الهجــر الحديثة

ان شكل اكبر الهجر الحديثة واكثرها تطورا يشبه شكل الهجر القديمـة . والكثير من الهجر الحديثة تمتاز بالمستوطنات المبعثرة خـــاصة اذا كانـت الزراعة مزدهرة . وافضل مثال لنوع المستوطنة المبعثرة هي عطا . فعطا عبارة عن قرية كبيرة في وادي الرمة تفتقر الى المنطقة المركزية . وحتى بيت الامير فانه يقف وحيدا قرب المزرعة . اما القرى الاخرى كالثامرية والطراق ، والروضة فلها بؤرة مركزية حيث يوجد بيت الامير ، والمدرسة ، والمسجد ، وحيث تقع بعض البيوت الاخرى . ويسكن أغلبية سكان هذه المستوطنات في عزب مبعثرة ومزارع منعزلة . وتكمن اسباب بعثرة المستوطنة في الطابع البدوي الذي يعطي اهميـة كبيرة للحيز المفتوح . وبما أن الهجر الحديثة انشئت بعد أن ساد القانون والنظام ، فلم تعد المستوطنة المتجمعة لاغراض الحماية ضرورية . وقد دعـم الاستخدام المتزايد للمركبات تبعثر المستوطنة لانها جعلت التفاعل الاجتماعـي بين المستوطنين المبعثرين اسرع وأسهل .

الحلات : مستوطنات بدوية تلقائية في المناطق الحضرية

يشير تعبير الحلات الى المستوطنات أو الاحياء البدوية في وقرب المناطـق الحضرية . وتعني حضر في هذا السياق اكبر واقدم مدن القصيم التي هي مراكز حضر . وكما هو الحال في الهجر الحديثة فان للحلات منشأ تلقائيا ولاغراض

اقتصادية بشكل رئيسي · وقد فقد الكثيرون من المستوطنين البدو في الحلات ثروتهم الحيوانية خلال الترحال · وقد جذبت الاخرين اسباب الراحة وحياة الحضر · ولم يستطع بعض المستوطنين البدو الاستيطان مع اقاربهم في الهجر ، وبدلا من ذلك فقد استوطنوا في الحلات التي اعطتهم افضل فرص العمل · وقد وجد المستوطنون البدو في الحلات عملا ، ويتسلم الاخرون مساعدة الدولـــة الاجتماعية ·

وتوجد الحلات في جميع اجزاء المملكة العربية السعودية · وتوجد اكبر الاعداد في الرياض وفي مدن النفط في شرقي المملكة العربية السعودية · وغالبا ما يسكن المستوطنون البدو في مدن العشيش · وتقع في القصيم ١٨ حلة حول سبع مدن في منطقة القصيم الوسطى · وأقدم الحلات هي باب ساير وباب الخلا في عنيزة التي انشئت في عام ١٩٤٣ · اما بقية الحلل فقد بنيت منذ عام ١٩٥٠ · واحدث الحلات تلك الموجودة في السالية في بريدة وحلة قبيلة الصلبة في عنيزة وكلاهمـا أنشئتا في عام ١٩٧٠ · وقد انشيء نصف الحلات ، وعددها تسع ، خـــلال الخمسينات ، وانشيء خمس منها خلال الستينات · بينما انشيء ثلث الحلات وعددها ست ، خلال سنوات الجفاف بين ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ عندما فقد الكثيرون من البدو الرحل معظم ماشيتهم وقرروا الاستيطان ·

ولهذا فان الاراء المتعلقة بدوافع توطين البدو يمكن وضعها كالتالي :

(١) التوطين خلال الفترة الاولى من ١٩١٢ ـ ١٩٣٠ يعكس خطة الملك عبد العزيز آل سعود لتوطين البدو في الهجر القديمة ·

(٢) وتمثل الفترة الثانية من عام ١٩٥٠ حتى الوقت الحاضر استيطـان البدو التلقائي في ثلاثة انواع من المستوطنات البدوية (الهجر القديمة ، الهجر الحديثة والحلات) · ولقد اوضح البحث بأن تكوين الحلات يتطابق مع التتابع الذي تمت ملاحظته في انواع الاستيطان الاخرى ، وهو بالتالي جزء من العملية ذاتها ·

وبما أن الحلات تقع بالقرب من المدن ، فان نسبة العاملين في الزراعة فيها غـير ذات اهمية اذا ما قورنت بالهجر حيث انها تبلغ ١١٫٥ ٪ لسكان كل حلة · أن

سكان حوالي نصف أو ما يعادل ثماني حلات لا يشتغلون باي نوع من الزراعة . بالاضافة لذلك فان ثلاثا (أو سدس الحلات) تمتلك بالفعل مزارع . اما بقية الحلات التي تشتغل بالزراعة ، فانها تزود المزارع بالعمالة . ان اهم المهن للبدو المستقرين في الحلل هي الاعمال الحضرية . وتتكون الاعمال الحضرية من البناء والشحن ، والوظائف الحكومية كالحراس ورجال الاطفاء والخدمات العسكرية وخدمات الشرطة . وقد تم تجميع البيانات لجميع الحلل ، فعلى مقياس مرتبي يتراوح في الاهمية من صفر الى ٥ ، فان الاعمال الحضرية سجلت درجة متوسطها ٢ر٤ وتبعتها التجارة بدرجة متوسطة مقدارها ٢ ، وسجلت الاعمال الزراعية درجة مقدارها ٤ر١ ، بينما سجلت الخدمات الخاصة ٢٧ر٠ وسلجت حرفة شبه الترحل ١٦ر٠ فقط . ان الخدمات الخاصة تشير فقط الى حلة واحدة ، وهذه هي حلة قبيلة الصلبة في عنيزة المتخصصة بالحدادة .

يعيش الكثيرون من المستوطنين البدو في الحلات وفي الخيم وفي البيوت الصفيحية .

وقد بدأوا حديثا في تسلم اعانات حكومية ، ويمكن القول ان نصف معيلي الاسر من البدو المستوطنين عاطلون عن العمل أو انهم يجدون اعمالا غير دائمة . ان هذه البطالة وشبه البطالة المستفحلة تعود لظاهرة ذات شقين :

اولا ، يفتقر معظم البدو المستقرين الى التعليم ومهارات العمل ، وهكذا فانهم محرومون من الكثير من الوظائف الموجودة في المدن .

وثانيا ، يواجه البدو المستقرون منافسة جديدة في الحصول على الوظائف التي لا تحتاج الى مهارة من العمال الاخرين ، ومما يعقد من المشكلة الثانية أن رجال الاعمال يعطونهم ادنى افضلية . وينظر اليهم رجال الاعمال كعمال كسالى وغير اكفياء ولا يعتمد عليهم ، اكثر مما ينظرون اليهم كاناس غير مدربين ، يفتقرون الى الطمأنينة ويحتاجون الى المساعدة .

المراجع

1. Delegation of Saudi Arabia, in League of Arab States The Ninth Conference of Social Affairs and Labor
(Jerusalem, 1965), Ri'ayat al-Badu wa Tahdiruhum wa Tawtinuhum (Development and Sedentarization of the Bedouins) 2 vols. (Cairo, Dar At-Tiba'ah al-Hadithah, 1965), vol. 1, p 404.
2. Salah Al-,abd .
,,Nomadic population in selected countries in the Middle East and related issues of sedentarization and settlement," in Studies on Selected Development Problems in Various Countries in the Middle East (United Nations, St/UNESOB/ 7, New York, 1970) pp 105-17.
3. United Nations Economic and Social Office in Beirut P. 378
4. Ibid., p 114.
5. Sharif - al, ' Abd Al-Rahman S., Mantiqat ' Unayzah : Dirasah Iqlimiyyah (Area of 'Unayzah : A Regional Study) (Cairo, An-Nahdah al - ' Arabiyyah Press, 1969).
6. Ministry of Communications, Feeder Road Study, Area 1 and 11 vol. 1 (Riyadh, Prepared by Wilson - Murrow. 1970). p 150
7. Economic Review of the Arab World, vol. 8, no. 7 (July, 1974),. p 47.

هذه الدراسة

توطين البدو والانتقال من الهجر (مستوطنات البادية) الى الحلل (المستوطنات الحضرية) هو المحور الرئيسي لهذه الدراسة التي نشرتها مجلة (Ekistics) التابعة لمركز اثينا التكنولوجي . فمشكلات توطين البدو هي من اهم الموضوعات التي لم تعط الاهتمام الكافي والتحليل العميق من قبل الاكاديميين والباحثين في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية .

من هذا المنطلق اذن تبرز اهمية هذه الدراسة الميدانية في اعطاء صورة متكاملة عن حياة الهجر قديمها وحديثها ، وعن التحولات التي تمر بها المجتمعات البدوية في مرحلة الانتقال من حياة التنقل والارتحال الى حياة الاستقرار والاستيطان .

ان تكوين مثل هذه الصورة عملية مهمة لرسم الطريق الامثل للكيفية التي يمكن بواسطتها صقل وامتصاص هذه الموارد البشرية في المشروعات الانتاجية والبرامج التنموية في المملكة العربية السعودية .

الدكتور عبد الاله ابو عياش

طبعت بمطابع الأنوار ـ الكويت